كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم

يصـــــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

العدد الثامن	شعبان سنة ١٣٦٨ يونية سنة ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المثل العليا في الاسلام

الحديث الديني الذى ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية بقصر رأس التين العامر فى ليلة الجمعة ١٢ من رمضان سنة ١٣٦٨

قال الله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متاباً ، والذين لا يشهدون الزور وإذا

مروا باللغو مروا كراماً ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها ، حسنت مستقراً ومقاماً » .

بينت الآيات السابقة حال الجاحدين الذين عتوا عن أمر ربهم واستكبروا عن عبادته حتى بلغ من جحودهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد رآهم يعبدون من دون الله أوثاناً : اسجدوا للرحمن ، أن قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟

ثم بينت هذه الآيات أوصاف الكمل من المؤمنين فقال تعالى « وعباد الرحمن ، والعباد والعبيد بمعنى ، وهم الذين راقبوا جلال المولى وعظمته وشاهدوا فى كل شىء ربوبيته ، فدانوا له بالخضوع والطاعة ، وكانوا للحق عبيداً حقاً ، وللمولى ملكاً ورقاً .

أولئك هم عباد الرحمن الذين شرفهم الله سبحانه بوصف العبودية له وخصهم بالاضافة إليه فى قوله تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » .

وأضيف العباد فى هذه الآية إلى اسم الرحمن دون غيره من أسمائه الحسنى إشعاراً بتخصصهم برحمته وتفضيلهم بها ، وتقريعاً لأولئك الجاحدين الذين قالوا فى الآية السابقة على جهة الانكار والتعجب « وما الرحمن » ؟

تواضع المؤمنين : ثم وصف الله تعالى هؤلاء العباد فقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً » والهون : يطلق فى لسان العرب على الرفق واللين والتثبت والتؤدة ، والسكينة والوقار ، وكلها معان متقاربة .

وفى الحديث : « أحبب حبيبك هوناً ما » أى حباً فيه ورفق وقصد لا إفراط فيه ولا مغالاة « عسى أن يكون بغيضك يوماً ما » .

وتقول العرب : أقبل يمشى على هونه أى بسكينة ووقار ، أو على سجيته التى جبل عليها دون تكلف وتصنع . وفى حديث صفة مشيه عليه السلام: «كان يمشى هوناً » . وفى رواية : الهوينا ، أى بسكينة وحسن سمت .

امتدحهم الله بأنهم يمشون على الأرض بسكينة وتواضع ، قد خلعوا رداء الخيلاء والتجبر ، ونزعوا من قلوبهم الميل إلى الزهو والتكبر ، لا ينحرفون مدى حياتهم عن هذا السمت فى سائر أحوالهم . قال تعالى : « ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » .وقال تعالى : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك » .

والمرح : الاختيال والتيهان فى المشية تكبراً وعتواً ، وهذا أدب أدب الله به المؤمنين تجميلا لظواهرهم بالتواضع وحسن السمت ، وتطهيراً لسرائرهم من رذيلة الصلف والكبرياء :

ومن ثمراته غرس المودة فى النفوس، وتوثيق عرى المحبة والأخاء بين الناس .

وفى نهى الله تعالى بهذا الأسلوب البليغ عن مشية المرح والاختيال أشد الزجر عن كل مظاهر التجبر والكبر ، وهى من صفات غلاظ الأكباد ، قساة القلوب ، ضعفاء النفوس .

وليس الهون فى المشى والقصد فيه هو ذلك التماوت والخمول الذى يرائى به بعض الناس تكلفاً وتصنعاً ، وإنما هو السكينة فى قوة ، والوقار فى تحفز ، والتؤدة فى اعتدال ، كمشية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مع السكينة والوقار واسع الخطى فى مشيته : يرفع رجليه بسرعة ، ويمد خطوه كأنما ينحط من صبب .

رأى عمر رضى الله عنه رجلا يمشى رويداً فقال : مالك ؟ أأنت مريض؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . فعلاه بالدرة وأمره أن يمشى بقوة ! .

العفو والصفح : ثم قال الله تعالى « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » أى إذا جهل عليهم جاهل وبادرهم بالسوء سفيه ، أغضوا عنه حلماً ، وأعرضوا عن مقابلته بمثله عفواً ، وتحملوا أذاه صبراً ، ودفعوه بالرفيق من القول حكمة ، تحرزاً عن الاثم واللغو، وتأليفاً للنفوس الجامحة وإرشاداً للجاهلين. ومنه قوله تعالى «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذه (جذبه) بردائه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال يامحمد مر لى من مال الله الذى عندك . فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء .

التهجد : وكما امتدحهم الله بالكمال فى أنفسهم، والكمال فى المعاملة مع غيرهم ، أثنى عليهم بحسن المعاملة مع ربهم فقال تعالى : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » أى يحيون الليل بالتهجد لله، يراوحون بين السجود والقيام فى الصلاة رجاء رحمته ، ومخافة عذابه « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون» « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

وقدم السجود فى الآية على القيام مع أن القيام مقدم فى الصلاة على السجود، لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد .

والسجود لله هو أبلغ مظاهر الطاعة والعبادة، وهو شعار المؤمنين ؛ قال تعالى : « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون » .

وفى امتداحهم بهذه الصفة فى الآية تعريض بأولئك الجاحدين الذين استكبروا عن السجود لله وقالوا أنسجد لما تأمرنا، فبينت الآية أن لله عباداً يبيتون له سجداً وقياما

الخشية فى الله : ثم وصفهم الله تعالى بالخشية منه والضراعة له فقال : « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقراً ومقاما » .

فهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق ، يخشون ربهم ويرهبونه ، ويبتهلون إليه تعالى أن يصرف عنهم العذاب، لعدم اعتدادهم بأعمالهم والخوف من تبدل أحوالهم ؛ قال تعالى : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » وهنالك الحساب والعذاب وما أدراك ما العذاب « إن عذابها كان غراما » أى هلاكا أو لازماً دائماً « إنها ساءت مستقراً ومقاماً » .

الاعتدال والقصد : ثم وصفهم الله تعالى بالاعتدال فى أمورهم فقال : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أى دأبهم فى النفقة فى المباحات القصد والاعتدال والتوسط بين الافراط والتفريط، لا يسرفون فيجاوزون الحد الذى أباحه الشارع، ولا يقترون فيقصرون عما رخص الشارع فيه ، بل يكون إنفاقهم عدلا وسطاً بين طرفين ذميمين .

والوسط المعتدل المحمود : معروف بين الناس عرفا فى كل شىء من شئون الحياة، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والبيئات والظروف، فيذم الناس امرأ بالاسراف لتجاوزه الحد المعروف والقدر المألوف إلى مافوقه ، ويذمون آخر بالاقتار لتقصيره عن هذا الحد إلى مادونه ، ويحمدون ثالثاً بالاعتدال لتوسطه فى أموره بين التبذير والتقتير . وفى الحديث : « من فقه الرجل رفقه فى معيشته » .

ومن الاسراف إنفاق المال وإن قل فيما حرم الله، قال تعالى : « ولا تسرفوا

إنه لا يحب المسرفين » وهو التبذير المذموم فى قوله تعالى : « ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » .

ومن الاقتار البخل بالمال فيما أوجب الله أو رغب فيه ؛ قال تعالى:« وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله إذا تردى » وهو الشح المذموم ؛ قال تعالى «وأحضرت الأنفس الشح » « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وليس من السرف إنفاق المال مهما كثر فى طاعة الله . ولذلك لما خرج أبو بكر عن كل ماله،وخرج عمر عن نصف ماله، وجهز عثمان بماله عشرة آلاف مقاتل فى غزوة تبوك ، وكان المسلمون فى أشد العسرة والجدب ـ قبل الرسول صلى الله عليه وسلم منهم ذلك ، ودعا لهم بخير ، ورضى عنهم ، ولم يعده سرفا .

وهذا الدستور الاقتصادى الذى شرعه الله فى هذه الآية وفى قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » أقوم سبل النجاح فى الحياة، والحيدان عنه مضلة ومهلكة،وانتهاجه أمن وسعادة .

أمهات المعاصى: وبعد أن بين الله تحلى عباده المخلصين بأصول الطاعات ، بين تخليهم عن أمهات المعاصى التى اتصف بها أولئك الجاحدون، فقال تعالى:« والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون » فبرأهم من الشرك وبين أن قلوبهم قد طهرت من دنسه وأذعنت لله بوحدانيته ، وبرأهم من العدوان على الدماء المعصومة بالقتل والاغتيال والاغارة ، وبرأهم من العدوان على الأعراض والأنساب .

الجزاء : ثم قال تعالى « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » أى من يفعل ما ذكره من الكفر وقتل النفس بغير حق وارتكاب الفاحشة يلق فى الآخرة عقابا لا يقادر

قدره ، وقد بينه الله تعالى بقوله « يضاعف له العذاب يوم القيامة » فله عذاب على الكفر ، وعذاب على القتل ، وعذاب على الفاحشة « ويخلد فيه مهاناً » أى ذليلا مستحقراً ، فيجمع له العذاب الجسمانى والعذاب الروحانى « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيما » .

التوبة : وهذا باب من أبواب رحمة الله لعباده ورأفته بخلقه ، فتحه لأولئك المستكبرين عن عبادته، رجاء أن ينيبوا إليه، ويقفوا داخرين بين يديه . فمن آمن منهم بعد ما سلف وتاب إلى الله مما اقترف وعمل صالحاً فامتثل ما أمر الله به وانتهى عما عنه نهى ، فأولئك يقبل الله توبتهم ويعفو عن سيئاتهم ويبدل سيئاتهم فى الشرك حسنات فى الاسلام ، فينقلب التائب بذلك من مسىء عاص إلى محسن مطيع، وتبدل أعماله من معاص وسيئات إلى طاعات وحسنات ، وتبدل صحائفه من سوداء قاتمة إلى بيضاء ناصعة، وآخرته من عذاب أليم إلى نعيم مقيم ؛ قال تعالى : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار» .

أما الايمان فيجب الكفر ويعفى أثره ، وهو تصديق بعد جحود ، وإذعان بعد كنود ، وهو رأس الحسنات والأعمال الصالحات .

وأما التوبة فهى الندم على ما فرط من السيئات، والرجوع إلى الله تعالى بعد الاباق والشرود ، والاقبال عليه بعد النفار والصدود ، فاذا تنبه القلب من غفلاته واستيقظ من رقداته ، وأصغى إلى زواجر الحق سبحانه ـ أدرك الانسان سوء ما صنع، وأبصر قبح ما اقترف، وسنحت له إرادة التوبة فأحس الندم والحسرة، واعتزم الرجعى والأوبة ، فعند ذلك تنحل منه عقدة الاصرار على الذنوب فيكف عن ارتكاب المحظورات ويكبح نفسه عن متابعة الشهوات ، فيفارق الزلة فى الحال

ويبرم العزم على أن لا يعود إليها فى الاستقبال وينيب إلى ربه بنفس راضية مطمئنة وقلب واع سليم . وفى الحديث : « واعظ الله فى قلب كل امرىء مسلم » .

وأما الأعمال الصالحة فما كان منها أعمال قلوب كالايمان والاخلاص والتوبة ونية العبادة فهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا علام الغيوب ، وما كان منها أعمال جوارح كاقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وإنفاق المال فى سبيل الله فهو عمل ظاهر وأمارة على التوبة والطاعة ،إلا أنه لابد فيه من النية والاخلاص . والعمل الصالح بالقلب والجوارح فى السر والجهر ، سبيل الفوز بذلك الأجر .

وكذلك من تاب من المؤمنين وأتبع توبته عملا صالحاً يحققها وينبىء عنها فهو الذى تاب إلى الله حق التوبة وله حكم أولئك التائبين ، وذلك قوله تعالى بعد أن ذكر حكم من تاب من المشركين «ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متابا»

الاعراض عن الباطل : ثم وصفهم الله تعالى بالاعراض عن الباطل وعدم ممالأة المبطلين فقال : « والذين لايشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما » .

الزور لغة : تحسين الشىء وتزيينه ووصفه بغير صفته الحقيقية ، وهو يشمل كل باطل مائل عن جهة الحق ، والكفر والكذب وشهادة الزور ومجالس اللهو والفسوق وسائر المعاصى التى حرمها الله .

واللغو : كل كلام أو فعل باطل لاحقيقة له،وهو الذى يجب أن يلغى ويطرح. فيشمل السب الباطل ، وذكر ما هو مستقبح فى الآداب العامة .

والكرام: جمع كريم ، وهو الذى ينزه نفسه عن التدنس بما يخالف ربه ،أو هو الصفوح عن الاساءة ؛ فوصفهم الله بأنهم لايشهدون الباطل ولا يحضرون مجالسه، ولا يمالئون أهله ولا يقولون كذبا ولا يشهدون زوراً ولا يقارفون المعاصى والمحرمات .

ووصفهم بأنهم إذا مروا عفواً بالباطل نزهوا أنفسهم عن الخوض فيه والدنو منه ، أو أعرضوا عن المسىء وصفحوا عن الاساءة .

ومنه قوله تعالى : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » .

وفى الآية إشعار بنفى كمال الايمان عمن يشهد الباطل ويغمس يده فى المنكرات ولا ينزه نفسه عن مستهجن القول ومستقبح الفعل .

التدبر والتأثر بالمواعظ : ثم وصفهم الله بالتدبر والانتفاع بالعظات ، فقال تعالى « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً » أى إذا ذكروا بحجج الله تعالى لم يكونوا صما لا يسمعون وعمياناً لا يبصرون ، بل كانوا أيقاظ القلوب فهماء العقول ، يفهمون عن الله ما يذكرهم به ، ويعقلون عنه ماينبههم إليه، فيودعون مواعظه آذاناً سامعة وقلوباً واعية ، لا كأولئك الجاحدين الذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعمياناً، فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون.

الابتهال : ثم ختم الله أوصافهم فى هذه الآية بقوله « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » .

قرة العين: كناية عن الفرح والسرور مأخوذة من القرار وهو الهدوء والسكون؛ يقال أقر الله عينه أى بلغه أمنيته حتى رضيت نفسه وسرت وسكنت عينه فلا تستشرف إلى غيره . ومنه قوله تعالى «قرة عين لى ولك» . وقول النبى «وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

رغب المؤمنون إلى ربهم أن تقر أعينهم وتسر نفوسهم بما يرون من أزواجهم وذرياتهم من الهداية والطاعة والاحسان فى العبادة . وليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى أحب الناس إليه مقبلين على طاعة الله معرضين عن معاصيه ، فقالوا : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » ، وابتهلوا إليه تعالى أن يجعلهم أئمة هدى يقتدى بهم المتقون فى خيرى الدنيا والآخرة، فقالوا : « واجعلنا للمتقين إماما » .

المكافأة : وبعد أن بين الله تعالى صفات عباده المتقين أخبر بأنواع إحسانه إليهم ومكافآته لهم بقوله « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » والغرفة أعلى منازل الجنة، فيكافأون بها جزاء صبرهم على مشاق الطاعات وكبح الشهوات واحتمال الأذى ومجاهدة النفس ورياضتها « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » « ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » .

وصف الله فى هذه الآية الجامعة الأصفياء من عباده ، وبين ما يقتضيه الايمان الحق من صفات باحدى عشرة صفة : بالتواضع والحلم والتهجد لله والخوف منه وترك الاسراف والاقتار والنزاهة عن الشرك وقتل النفس وهتك العرض وبالتوبة إلى الله وتجنب الزور والباطل والعفو عن الاساءة وبالانتفاع بالمواعظ والابتهال إلى الله .

المثل العليا : تلك هى صفات الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك هى آدابهم التى كانوا عليها وكانت نبراساً لمن بعدهم من أئمة الهدى وأعلام الاسلام وتقاة المؤمنين .

فأى مجتمع بشري تكاملت فيه هذه الفضائل التى اجتمعت لهؤلاء ؟

وأية مدنية أرقى من مدنية هذه الأمة التى درجت فى الصحراء فتولتها العناية الربانية ، وبعث الله فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم ، فكانوا كما وصف الله علماء حكماء ، راضوا أنفسهم على الحق، وأقاموا بينهم ميزان العدل ، وطهروا مجتمعهم من الرذائل والآثام ، وأدوا حق الله وحق الناس .

بهذه الصفات كانوا أمة قوية لها مدنيتها الحقة وحضارتها السامية التى اعتدل فيها ميزان الروح والمادة ، فلم تطغ فيها المادية طغيانها فى الأمم الأخرى التى خضعت لسلطانها، فاستحالت حضارتها إلى جشع وطمع واستعباد واستئثار .

ولم تطغ فيها الروحية طغيانا يعزلها عن مجال الحياة والعمل فى المعترك الانسانى بل كانت قواما بين هذين كما قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » . وقال « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وبهذه المثل العليا انتشر دين الاسلام، ودخل الناس فيه أفواجاً وأفراداً وأمما، وأشرق نوره فى الآفاق، وامتدت ظلاله الوارفة إلى أقاصى المعمور من الأرض، فكان هدى بعد ضلال، وعلما بعد جهالة، ومدنية بعد وحشية، وحضارة بعد همجية، وكان إنقاذاً للانسانية من شرور وطغيان، وسيظل كذلك إلى يوم الدين، وسنظل به أعزة ما استمسكنا بهداه، وترسمنا مثله العليا، ورضنا أنفسنا على مادعا اليه، وأقمنا حضارتنا على أسسه القوية، ومبادئه الحقة، وفيها متسع للتجديد، ورحابة للأخذ بالحسن الصالح من الجديد .

الأحرف السبعة

ورد إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل شيخ عموم المقارىء المصرية السؤال التالى :

ما معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ؟

الجواب

ينحصر الكلام على هذا الحديث فى أربعة مباحث وتتمة :

الأول : فى بيان طرقه .

الثانى : فى سبب ورود القرآن على سبعة أحرف .

الثالث : فى بيان المراد بهذه الأحرف السبعة .

الرابع : فى بيان اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير ، لااختلاف تضاد وتناقض . والتتمة فى بيان فوائد اختلاف القراءات .

وها أنذا أذكر لك شيئاً من كل منها ، فأقول :

المبحث الأول فى بيان طرق هذا الحديث

روى بالطرق الصحيحة عن جمع من الصحابة ، وتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه » روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت : من أقراك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ؟ فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : كذبت فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ، اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » . وفى لفظ للبخارى أيضاً عن عمر أيضاً : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث

وفى لفظ مسلم عن أبى بن كعب «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقال : « سل الله معافاته ومعونته فان أمتى لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية على حرفين، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاثة، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا» . ورواه أبو داود والترمذي وأحمد . وفى لفظ للترمذى أيضاً عن أبى قال : « لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المروة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : إنى بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفانى والعجوزة الكبيرة والغلام. قال : فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف . قال الترمذى: حسن صحيح . وفى لفظ : فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ . وفى لفظ حذيفة : فقلت يا جبريل إنى أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط . قال : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف». وفى لفظ لأبى هريرة : «أنزل القرآن على سبعة أحرف: عليما حكيما غفوراً رحيما » . وفى رواية لأبى : دخلت المسجد أصلى فدخل رجل فافتتح النحل ، فقرأ فخالفنى فى القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك ؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفنى وخالف صاحبى، فلما انفتل

قلت من أقراك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد ما كان فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت استقرىء هذين . فاستقرأ أحدهما فقال: أحسنت . فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى بيده فقال: أعيذك يا أبى من الشك !. ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتانى فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت: اللهم خفف عن أمتى . ثم عاد فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت: اللهم خفف عن أمتى، ثم عاد فقال إن ربك عزوجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة . الحديث. رواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده بهذا اللفظ . وفى لفظ لابن مسعود : فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه . وفى لفظ لأبى بكرة : كل شاف كاف مالم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب . وهو كقولك : هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب واعمل . وفى لفظ لعمرو بن العاص : فأى ذلك قرأتم فقد أصبتم، ولا تماروا فيه فان المراء فيه كفر .

وقد وقع لجماعة من الصحابة نظير ما وقع لعمر مع هشام .

فمن ذلك ما وقع لأبى بن كعب مع ابن مسعود فى سورة النحل كما تقدم .

ومنه ما أخرجه أحمد عن ابن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو: أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هى كذا وكذا . فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه » . إسناده حسن .

ولأحمد أيضاً وأبى عبيد والطبرى من حديث أبى جهم بن الصمة: أن رجلين

اختلفا فى آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث عمرو بن العاص .

وللطبرى والطبرانى عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأنى ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبى ابن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي إلى جنبه ، فقال علي: ليقرأ كل إنسان منكم كما علم ، فانه حسن جميل .

ولابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من آل حم، فرحت الى المسجد فقلت لرجل: اقرأها، فاذا هو يقرأ حروفا ما أقرؤها، فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه ، فتغير وجهه وقال : إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف ، ثم أسر إلى علي شيئاً، فقال علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم . قال : فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفا لا يقرؤها صاحبه .

وقال الشمس ابن الجزرى فى نشره : وقد نص الامام الكبير أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله على أن هذا الحديث تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

« قلت »: وقد تتبعت طرق هذا الحديث فى جزء مفرد جمعته فى ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، وعبد الله ابن عباس ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبى سلمة ، وأبى جهم ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأم أيوب الأنصارية ، رضى الله عنهم .

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى سنده الكبير : أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوماً وهو على المنبر : أذكر الله رجلا سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، لما قام . فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف » . فقال عثمان رضى الله عنه : وأنا أشهد معهم .

المبحث الثانى فى سبب ورود القرآن على سبعة أحرف

قال الشمس ابن الجزرى : فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها والتهوين عليها، شرفاً لها وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف ، فقال صلى الله عليه وسلم :سل الله معافاته ومعونته ، إن أمتى لا تطيق ذلك. ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. وفى الصحيح أيضاً : « إن ربى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتى ، ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة حرف » . وكما ثبت صحيحاً أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعه أحرف ، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد . وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم عربيهم وأعجميهم ، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم . فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن

ألسنتهم لـكان من التكليف بما لا يستطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف ، وتأبى الطباع . . . انتهى .

وقال الامام أبو محمد بن عبدالله بن قتيبة فى كتاب المشكل : فـكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وماجرت به عاداتهم. فالهذلى يقرأ «عتى حين» يريدحتى حين هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدى: يعلمون وتعلم وتسود وجوه . وألم إعهد إليكم بكسر حرف المضارعة . والتميمى يهمز والقرشى لا يهمز. والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء باشمام الضم مع الـكسر، وبضاعتنا ردت إلينا باشمام الـكسر مع الضم ، ومالك لا تأمنا . باشمام الضم مع الادغام .

قال العلامة ابن الجزرى : وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضم الهاء . والآخر يقرأ عليهم ومنهم بالصلة . وهذا يقرأ قد أفلح وقل أوحى وخلوا إلى بالنقل . والآخر يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالامالة . وغيره يلطف . وهذا يقرأ خبيراً وبصيراً بترقيق الراء ، والآخر يقرأ الصلاة والطلاق بتفخيم اللام إلى غير ذلك... انتهى .

قال ابن قتيبة : ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتباره طفلا ويافعا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولا يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً فى اللغات ومتصرفاً فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين . اه

وأيضاً النبى صلى الله عليه وسلم تحدى بالقرآن جميع الخلق : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله...» الآية. فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم : لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله ، وتطرق الـكذب إلى قوله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

« يتبع »

على محمد الضباع
شيخ عموم المقارىء المصرية

التغنى بالقرآن الكريم (١)

١ — تعرضنا بالاجمال فى مقال سابق لقراءة القرآن بالألحان ، مشيرين إلى أنها تنافى الاتعاظ به ، والاهتداء بهديه ، والاعتبار بقصصه ؛ وقلنا « ليست مذيا كرة القرآن بما ابتدعنا فيها من ألحان نطرى بها الصوت ، ونغمه ، وتمايل الأعناق طربا للنغم ، وتتصايح الأصوات استطابة للحن ، والقارىء يترنم بنغمه ، ويهتز للحنه ، ولا يراعى معنى ، فيخفض صوته فى آيات الترهيب ، ويشتد فى آيات الترغيب ، يلين فى آيات القتال ، ويجلجل فى آيات السلام » .

وقد اتصل بنا بعض القراء فطلب إلينا بيانه ، فان هذا موضوع لا يغنى فيه الاجمال عن التفصيل ، ولا تقوم فيه الاشارة مقام العبارة ؛ وخصوصاً أن البلوى فيه عامة ، والبدعة فيه حسبها الناس سنة ، وتعلقوا بآثار واردة عن النبى صلى الله عليه وسلم تبيح التغنى بالقرآن وتزيينه بحسن الصوت ؛ فحق علينا أن نزيل الاشتباه ، ونبين الفرق بين ما كان يستحسنه الرسول الكريم، وما ابتدعه الناس من بعده ، معتمدين فى ذلك على المنقول والمعقول ، لا نتزيد على علم السلف ، ولا نسلك غير سبيلهم القويم .

٢ — فاننا لا نحارب البدعة ، إلا بما يثبت لدينا أنه السنة ، والسنة فى هذا المقام هى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن ، وقد جاء وصفها فى صحاح السنة ، والثابت من الآثار .

---

(١) نقلا عن مجلة « لواء الاسلام الغراء » .

فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حزب من القرآن يقرؤه، ولا يخل به، وكانت قراءته ترتيلا، لا هذاً[١] ولا عجلة، بل قراءة مفسرة، حرفاً، حرفاً، وكان يقطع قراءته، آية، آية، وكان يمد عند حرف المد، فيمد الرحمن، ويمد الرحيم، وكان يقرأ القرآن قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومتوضئاً ومحدثاً، وكان يترنم به، ويرجع صوته به أحياناً، كما رجع يوم الفتح فى قراءته « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره، وقد أمر عبد الله بن مسعود مرة أن يقرأ عليه، فلما سمعه عليه السلام خشع، حتى ذرفت عيناه، وقد استمع ليلة لقراءة أبى موسى الأشعرى من غير أن يعلمه ثم أخبره، فقال رضى الله عنه: « لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً[٢] ».

ولقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « زينوا القرآن بأصواتكم » وروى أنه قال: « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقال عليه السلام: « ما أذن الله لشيء كأذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن ».

٣ — فهذه الآثار كلها تدل على أنه عليه السلام أباح التغنى بالقرآن، وأباح ترجيع الكلمات مترنماً بمعانيها مردداً لها بترديد ألفاظها، كما يفعل الأديب عند ترديد بيت من الشعر أدرك معناه واستطابه، فردده استحساناً له، ولجودة التعبير وسلامته؛ وكما فعل عليه السلام عند ترجيعه « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » فإن ترديد ذلك فى عام الفتح إنما هو من شكر المنعم به؛ وهو استذكار للانتقال من الضعف إلى القوة، ومن الفتنة فى الدين إلى جعل الكلمة العليا لدين رب العالمين.

وإذا كان الترجيع ليس إلا ترديداً للمعنى، وتذوقاً له واستطابة، واعتباراً

(١) الهذ: سرعة القطع، أي أنه لا يقرأ قراءة يسرع فى مقاطعها، فلا يعطى الوقوف حقها، ويفسر ذلك ما جاء بعد.

(٢) أى يحسن صوته تحسيناً.

به ، فكذا يكون التغنى الذى استحسنه النبى صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أن العرب الذين كانوا يقرءون القرآن كانوا على علم بأساليب البيان ، ومعانى الفرقان ؛ فكانوا يترنمون بالألفاظ ترجيعاً لمعناها ، وتذوقاً لجمالها ؛ واستحساناً لأسلوبها .

وعلى ذلك يكون تحسين القراءة بالصوت الجميل ، الغرض منه. أن يسهل على السامع فهم المعنى وتذوقه ، وإدراك جمال الأسلوب ، وجمال الألفاظ .

٤ — أما إذا كان التغنى بالقرآن لمجرد النغم من غير نظر إلى المعانى ، و من غير أن يدرك السامع جمال اللفظ وجمال الأسلوب ، بل يستطيب الألحان من غير تفرقة بين أن تكون الألحان فى ألفاظ التنزيل ، أو تكون فى شعر عربى فصيح أو أوزان عامية مستحدثة ، فذلك هو الذى لا نعتقد أن النبى صلى الله عليه وسلم أقره ؛ بل نؤمن بأنه نهى عنه، وتنبأ بوقوعه وحذر منه .

فقد روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتاب والفسق،فانه سيجىء بعدى أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » .

ولقد ذكر الرسول صلوات الله وسلامه عليه « أن من علامات الساعة أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم (ليس بأقرئهم ، ولا أفضلهم) ليغنيهم غناء » .

فهذان الحديثان فيهما بيان أن قراءة القرآن بالألحان ليست من السنة فى شئ ، وهى غير التغنى الذى أباحه النبى صلى الله عليه وسلم واستحسنه ، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم الحد الفاصل بين التغنى المستحسن ، والتلحين المستهجن ، فى الحديث الأول ؛ فقد ذكر أن التغنى المستحسن هو الذى يجئ على لحون العرب ؛ ولحون العرب كانت تقوم على إخراج الحروف من مخارجها ، والمد فى موضع المد وهمز المهموز،ووصل الموصول ؛ ونحو ذلك من المبين فى علم التجويد ، فهذه ألحان

العرب ، وتحسينها هو بالصوت الجميل ، لا بتوقيع القرآن على موسيقى الأعاجم . والترنم به هو ترديد المعنى المفهوم فى اللفظ الجميل بحيث يكون الصوت مصوراً للمعنى أولا وبالذات،ولعل هذا هو التحبير الذى كان يتجه إليه أبو موسى الأشعرى عند ما كان يريد تحبير قراءته .

٥ — لقد بين النبى إذاً الفرق بين التغني المقبول ، والتلحين المرذول ، وتنبأ بوحى من ربه بما يكون ، ثم لم يمض زمن طويل على انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، حتى ظهرت لحون الأعاجم ، فانه فى صدر الدولة الأموية قد ظهر الغناء الفارسى ، وأخذه العرب ، ولحنوا به أشعارهم،ثم سرت العدوى من الأشعار إلى القرآن ؛ فكان من القراء من يقرأ القرآن بهذه الألحان الأعجمية التى لا تتفق مع اللحن العربى ؛ وأدرك ذلك بعض الصحابة الذين عمروا إلى الدولة الأموية ، فانه يروى أن قارئا جاء إلى أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ وطرب ، فقال له صاحب الرسول عليه السلام : « ماهكذا كانوا يفعلون» واستنكر صنيع ذلك القارئ ، وعده بدعة .

٦ — ولذلك قال التابعون الذين سمعوا تلك الألحان الأعجمية ورأوها تذهب بالروعة القرآنية : إن القراءة بالألحان مكروهة ، وكلمة مكروهة يراد بها فى أكثر الأحوال عند هؤلاء التابعين التحريم ، ولكن لعدم النص الصريح بالتحريم لم يصرحوا به ، ومن هؤلاء سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعى ، ثم جاءت الطبقة التى وليت التابعين من الفقهاء المحدثين ، فكان منهم كثيرون أفتوا بالكراهة ، ومن هؤلاء سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس . فقد روى ابن القاسم « أنه سئل الألحان فقال لاتعجبنى ، وإنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم » ولقد جاء فى الطبقات لابن السبكى «أن الربيع بن سليمان الجيزي الأزدى المتوفى سنة٢٥٧ روى عن الشافعى

رضى الله عنه أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة » . ولقد تضافرت الروايات عن الامام أحمد رضى الله عنه أنه قال : « القراءة بالألحان بدعة لا تسمع » .

فهذه نقول كثيرة عن الأقدمين تبين أن التطريب بالقرآن من غير نظر إلى المغنى حرام أو مكروه أو بدعة ، ولعل الذين لم يفتوا بشىء من هذا لم تصخ أسماعهم قراءة بالألحان تبعد المعنى ، وما سمعوه من التغنى بالقرآن كان فى دائرة ألحان العرب التى استحسنها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأجازها ، ولم تكن من ألحان الأعاجم التى تهوش المعانى فى نفوس السامعين .

٧ — والذى يستخلص من مجموع النقول ، وهو الذى يتلاقى فيه المختلفون ، أن التغنى بالقرآن قسمان : (أحدهما) يساعد على المقصود من التلاوة وهو العظة والاعتبار ، وفهم معانيه ، وتدبر آياته ، وتذوق جمال لفظه ، وطلاوة أسلوبه ، وحلاوة بلاغه. وهذا مستحسن مطلوب . ومن ذلك مايروى عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى: ذكرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى و يتلاحن. ومن ذلك أيضاً ماروى من أن عمر رضى الله عنه قال لعقبة بن عامر وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن : اعرض علي سورة كذا، فعرض عليه، فبكى عمر ، وقال « ما كنت أظن أنها نزلت » .

وهذا القسم هو الذى يكون المعنى فيه واضحاً جليا ، و يزيده حسن الصوت والالقاء جلاء ووضوحاً، وسماعه يزيد المؤمن إيماناً كما قال تعالى فى وصف المؤمنين « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون » .

أما القسم الثانى فهو الذى يكون التوقيع الموسيقى غير متناسب مع المعنى، أو يكون الغرض من التلاوة مجرد التطريب ، والغرض من السماع مجرد الطرب ، أو يكون الترجيع للتنويع فى الموسيقى ، أوتستعار القراءات ولو لم تكن شاذة لتنويع الموسيقى ، فيكون السامع فى جو من الطرب لا فى مقام اهتداء واتعاظ واستبصار.

وهذا صالح لأن يتخذ تسلية ، لا أن يكون تبصرة . وما لهذا كان القرآن ، وهو لا يتفق مع المكان الأمثل له. وفوق ذلك فان الترجيع الموسيقى يذهب بوقاره وجلاله، وقد سمعت قارئا يقرأ سورة «الحاقة» ، ويختار قراءة كسر ما قبل التاء المربوطة ملحناً بها ، فيكون طرب شديد من الناس للحن ، ولكن ذا الاحساس يرى فيه تهزيعاً لقرآن الله العلى الحكيم .

وإن هذا القسم هو البدعة التى ابتدعها الناس ، وهو الذى كرهه الأئمة ، وقال فيه إمام دار الهجرة : « هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم » .

فعلى الذين يستأجرون القراء ليقرءوا القرآن متيمنين بقراءته فى أفراحهم ، أو راجين المغفرة بها فى أحزانهم — أن يتحروا السنة ، ويبتعدوا عن البدعة . والله الموفق . محمد أبو زهرة

كلمات حكيمة

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال :

فقر لا يدرك غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفد أولاه ، وأمل لا يبلغ مداه .

وقال رضى الله عنه :

تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون . ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع . من كتم سره كان الخيار فى يده . لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً .

من هدى القرآن :

القرآن وحقوق الانسان

قال الله تعالى فى كتابه الكريم « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

هذه الآيات الكريمة أول ما نزل من هدى القرآن على المصطفى صلى الله عليه وسلم فى أوائل القرن السابع الميلادى . وقد تضمن قول الله تعالى « خلق الانسان من علق » الركن الركين للمبادىء التى كانت سبيلا لاعلان حقوق الانسان فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى .

وإن المتأمل فى هذه الآية القصيرة ليستوحى من هديها أن بنى الانسان إخوة متساوون فى عنصر التكوين والوجود . فهى تنطق بأن النوع الانسانى خلق من علق، وهى قطع من الدم تعلق بالأرحام. ويجلى هذا المعنى قول الله تعالى «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

هذا هو الانسان فى أصله وتناسل أفراده ، لا يشذ فرد فى تكوينه الطبعى عن هذا النهج السوى . ولقد شاء الله جلت حكمته أن يكون فى الناس الفقير والغنى ، والمالك والأجير ، والخادم والمخدوم ، لأن نظام العمران يقتضى ذلك حتى يتعاون الجميع فى سبيل الانشاء والانتاج والتعمير كل بما يملك من مال وقوة ، لا يتفاضلون

إلا بما يحسنون من سعى وعمل . وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما أنتم ولد آدم ، ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين أو عمل صالح » .

ولقد كان مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم دستوراً حكيما فى هذا الشأن الخطير ، فقد روى أنه كان مع أصحابه فى سفر فاعتزموا ذبح شاة لطعامهم فقال أحدهم: على ذبحها، وقال الآخر: على سلخها،وقال ثالث:على طبخها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى جمع الحطب . فقالوا: يارسول الله كلنا نكفيك ذلك. قال قد علمت هذا ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على إخوانه . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إخوانكم خولكم (يعنى أن خدمكم إخوانكم) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس» . وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطب الناس غداة بويع بالخلافة فيقول : « أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم » .

ويروى التاريخ أن عمربن الخطاب خرج من المدينة المنورة إلى بيت المقدس لعقد الصلح مع أهلها على تسليمها يتناوب الركوب على دابته مع خادمه، فدخل بيت المقدس ونوبة الركوب للخادم. ومن المأثور عنه قوله : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

أيها السادة : هذا هو الروح الكريم الذى استوحاه المسلمون الأولون من تعاليم كتابهم وهدى نبيهم وسيرة خلفائهم ، فأقاموا العلاقات الانسانية على مبادىء الحرية والاخاء والمساواة، وأعلنوا حقوق الانسان قولا وعملا قبل أن يعلنها سواهم بمئات السنين.

فهل آن للناس أن يعرفوا للاسلام فضله فى إعلان هذه الحقوق وجهاد أبنائه فى دعمها وصيانتها ، وأن يحرصوا على رعاية هذه الحقوق ليعيشوا فى صفاء وسلام .

جاد المولى سليمان

المفتش العام بقسم المساجد

عصمة الأنبياء (١)

الرسل وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه ، يقومون بتبليغ أوامر الله ونواهيه ، ووعده ووعيده ، وتعليم عباده ما خفى عليهم وكانوا فى حاجة إليه ، كصفات الخالق جل وعلا ، وما يتعلق بالعالم الأخروى .

لذلك لزمهم من الصفات ما يحقق المقصود من إرسالهم ، ويدعون الناس إلى اتباعهم . فيجب لهم : الصدق ، وتبليغ ما أمروا بتبليغه إلى الخلق ، والفطانة ، وسلامة أبدانهم مما تشمئز منه النفوس ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، والعصمة ، والأمانة ، ويستحيل عليهم ضد هذه الصفات .

وبهذه الصفات امتازوا عن بقية أفراد النوع الانسانى ، كما امتازوا بأن أرواحهم قد أمدها الله بكمال عنايته ، فصفت بأصل فطرتها ، ورقت إلى أعلى الدرجات ، فكانت أهلا لأن تشاهد الملك الجبار بصورته الأصلية ، وأن تأخذ عنه الوحى ، وأن تسمع كلام الله .

أما ما عدا هذا من الصفات فهم مساوون لباقى أفراد نوعهم ؛ فيأكلون ويشربون ، ويفرحون ويألمون ، ويلحقهم الأذى من أعدائهم .

وحيث قد علمت ما وجب للرسل ، فالواجب تماماً للفائدة أن ننظر نظرة إجمالية فى الآيات التى وردت فى كتاب الله تعالى حاكية لما يقع من بعض الرسل وكانت بظاهرها توهم صدور ذنب منهم ، ونوفق بين المستفاد منها وبين ذلك الذى قام عليه الاجماع ، أوقضى به الدليل العقلى من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

(١) من دروس المرحوم الشيخ محمد أبو دقيقة عضو جماعة كبار العلماء .

الآيات الواردة فى أبينا آدم عليه السلام

قال تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم » . وقال تعالى : « فعصى آدم ربه فغوى » وقال تعالى حكاية عن آدم وحواء « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

هذه الآيات بحسب ظاهرها والمتبادر منها تفيد أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم عن الأكل من شجرة مخصوصة معينة (قيل هى شجرة الحنطة) ، وأن آدم أكل منها بعد النهى الموجه إليه من قبل البارى ، كما تفيد أن آدم اعترف بخطيئته وكذلك حواء ، وأنهما طلبا من الله المغفرة ، فأرشدهما إلى طريق التوبة ، فسلكاه فتاب عليهما . فتوجيه النهى إلى آدم عن الأكل من الشجرة منع له عن قربانها ، وتناوله منها بعد ذلك النهى خروج على هذا النهى . وهذا هو عين الذنب ؛ ولذلك صرح آدم مع زوجه بأنهما ظلما أنفسهما وجنيا عليها ، وطلبا المغفرة من الله ، وصرح الله سبحانه وتعالى فى آية أخرى بأن آدم عصى ربه .

ولأجل أن يتفق ما يستفاد من الآيات المذكورة مع ما ثبت بالعقل نقول :

إن آدم ارتكب ذنباً ، لكنه كان قبل البعثة ، لأنه ارتكبه قبل أن يكون له ولد يرسل إليه ، وكان ناسياً لذلك العهد الذى قد أخذ عليه ، لقوله تعالى فى حق آدم « فنسى ولم نجد له عزما » . فضلا عن ذلك فهذا الذنب من الصغائر ، وتعظيم الله تعالى لذلك الذنب ، واستعظام آدم له ، نظراً إلى علو شأنه ، ومزيد

فضل الله تعالى عليه وإحسانه ، ومخالفة الحبيب على الحبيب شديدة ، وصدور الصغيرة خصوصاً إذا كانت قبل البعثة لا يقدح فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقال الله تبارك وتعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين . فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ، فتعالى الله عما يشركون » .

كثرت آراء الكاتبين على هذه الآية ، واختلفت مشاربهم ، ولم يستند واحد منهم فى تأييد رأيه إلى رواية صحيحة فى بيان معنى الآية . وحيث إنه لم يرد بيان للآية عن النبى المعصوم فالواجب الركون إلى معنى لا تنبو عنه الآية ولا يترتب عليه قدح فى نبوة آدم عليه السلام ، ونبذ ما عداه من المعانى وإن قال به جمع ؛ وهذا هو المعنى الصحيح الذى لا غبار عليه :

« هو الذى خلقكم » جميعاً وحده من غير أن يكون لغيره مدخل فى إيجادكم « من نفس واحدة » هى آدم عليه السلام « وجعل منها زوجها » أى أنشأ زوجها من جنسها ، أى أنشأ حواء من جنس تلك النفس فكانت من الانس لا من الجن ، وذلك لحكمة أشار إليها بقوله « ليسكن إليها» أى ليأنس بها وتطمئن نفسه إليها « فلما تغشاها » أى جامعها « حملت حملا خفيفاً » وهو الجنين حال كونه نطفة أو علقة أو مضغة فانه لا ثقل فيه بالنسبة لما بعده من الأطوار « فمرت به » أى استمرت على ما كانت عليه قبل الحمل من مباشرة شؤونها بدون ألم ولا تعب « فلما أثقلت » صارت ذات ثقل بكبر الحمل « دعوا الله ربهما » أى آدم وحواء « لئن آتيتنا صالحاً » أى نسلا سليما من فساد الخلقة كنقص بعض الأعضاء ، فيكون صالحاً بمعنى سليما صفة لموصوف محذوف وهو « نسلا » . « لنكونن من

الشا كرين » لك على تلك النعمة « فلما آتاهما صالحاً » أى نسلا كامل الخلقة لا نقص فيه ، والنسل الذى رزق به آدم صنفان : ذكر وأنثى « جعلا له شركاء فيما آتاهما » أى جعل النسل الصالح الكامل الخلقة المكون من صنفين ذكر وأنثى « شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » أى تنزه الله تعالى عن إشراكهم .

وبيان الآية على هذا الوجه الذى ذكرناه يجعل الشرك باقياً على المعنى المتبادر منه ، ويجعله صادراً من نسل آدم لا من آدم وحواء ، وغاية مايلزم على هذا الوجه أن لفظ «صالحاً» فى الآية الواقع صفة لنسل المحذوف حيث كان مفرداً ، فظاهر الحال يقتضى أن الضمير العائد إليه يكون مفرداً ، وقد عاد الضمير إليه فى قوله «جعلا» وقوله : « آتاهما » مثنى ، فيكون جارياً على خلاف الظاهر ؛ ولكن حيث كان القرآن عربياً ، واللغة العربية لا مانع فيها من إرجاع الضمير إلى الكلمة تارة باعتبار لفظها، وتارة باعتبار معناها ، وحيث كان النسل مفرداً باعتبار لفظه، ومثنى باعتبار معناه ، لأن المراد منه صنفان ذكر وأنثى ، فقد لوحظ لفظه فوصف بقوله « صالحاً » وهو مفرد ، وأعيد الضمير عليه مثنى ، لأن النسل مكون من صنفين ذكر وأنثى . ولما كان كل من الصنفين يشمل أفراداً كثيرة أتى بضمير الجمع فى قوله « فتعالى الله عما يشركون » . وحينئذ فليس فى الآية بالنسبة لآدم ما يخل بعصمته ، لذلك كان حمل الآية على هذا المعنى أولى من الأوجه التى ذكرت هنا ، بل يكاد يكون متعيناً ، فلا تلتفت إلى ما نقله بعض القصاصين هنا ونسبه إلى حواء.

القنـــاعة

مما ينسب إلى الامام الشافعى رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً ففى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد علته مهانة وعلاه هون

جمع القرآن بمعنى حفظه فى الصدور

— ٣ —

المشهورون بأقراء القرآن من الصحابة فمن بعدهم :

المشهورون بأقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعلى،وأبى، وزيد بن ثابت وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعرى . كذا ذكرهم الذهبى فى طبقات القراء .

قال : ولقد قرأ على أبى جماعة من الصحابة منهم : أبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن السائب . وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً ، وأخذ عنهم خلق من التابعين .

فكان بالمدينة ابن المسيب، وعروة ، وسالم، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارىء ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهرى ، ومسلم بن جندب .

وبمكة: عبيد بن عمير ، وعطاء بن أبى رباح ، وطاوس ، ومجاهد ، وعكرمة .

وبالكوفة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خيثم ، وعمر بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن فضيلة ، وسعيد بن جبير ، والنخعى ، والشعبى .

وبالبصرة : أبو عالية ، وأبو رجاء ، وأبو نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، والحسن ، وابن سيرين .

وبالشام : المغيرة بن أبى شهاب المخزومى صاحب عثمان ، وخليفة بن سعد صاحب أبى الدرداء .

ثم تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ، ويرحل اليهم .

فكان المدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن نعيم.

وبمكة : عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن محيصن ،

وبالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبى النجود ، وسليمان بن الأعمش ، ثم حمزة ، ثم الكسائى .

وبالبصرة : عبد الله بن أبى اسحق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعاصم الجحدرى ، ثم يعقوب الحضرمى .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكلابى ، واسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر ، ثم يحيى بن الحارث الذمارى ، ثم شريح بن يزيد الحضرمى .

واشتهر من هؤلاء فى الآفاق الأئمة السبعة «نافع» وقد أخذ عن سبعين من التابعين ، منهم أبو جعفر .

« وابن كثير » وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابى .

« وأبو عمرو » وأخذ عن التابعين .

« وابن عامر » وأخذ عن أبى الدرداء وأصحاب عثمان .

« وعاصم » وأخذ عن التابعين .

« وحمزة » وأخذ عن عاصم ، والأعمش ، ومنصور بن المعتمد ، وغيرهم .

« والكسائى » وأخذ عن حمزة ، وأبى بكر بن عباس .

ثم انتشرت القراءات فى الأقطار ، وتفرقوا أمما بعد أمم ، واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان ، ثم لما اتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ، قام جهابذة الأمة ، وبالغوا فى الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ ، بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها ، ولازالت مصنفاتهم يتداولها المسلمون إلى وقتنا هذا ، وعليها الاعتماد فى ضبط القرآن والقراءات ، وحفظه من التحريف والتبديل ، رحمهم الله وأحسن مثوبتهم .

فريد العبادى مدرس بالازهر

عظات وطرف

لماذا لا يجاب دعاؤنا :

قيل لابراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى : « ادعونى أستجب لكم » ؟ قال : لأن قلوبكم ميتة ! . قيل : وما الذى أماتها ؟ قال : ثمان خصال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال الله تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم . فأسخطتم ربكم ، فكيف يستجيب لكم ! .

الروح والجسد :

عن ابن عباس قال : ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد ، فيقول الروح : يارب إنما كنت روحا منك جعلتنى فى هذا الجسد فلا ذنب لى ، ويقول الجسد : يارب كنت جسداً خلقتنى ودخل فى هذا الروح مثل النار ، فبه كنت أقوم ، وبه كنت أقعد ، وبه أذهب ، وبه أجىء . . . لا ذنب لى .

قال : فيقال : أنا أقضى بينكما ، أخبرانى عن أعمى ومقعد دخلا بستاناً ! فقال المقعد للأعمى : إنى أرى ثمراً فلو كانت لى رجلان لتناولت ، فقال الأعمى : أنا أحملك على رقبتى . فحمله فتناول من الثمر ، فعلى من الذنب؟ قالا : عليهم جميعاً . قال : قضيتما على أنفسكما ! .